الخيار الصعب بين التهديد بالموت والانتحار في المهاجر

بقلم: خوشابا سولاقا

انه حقـا خيار صعب للغاية لمسيحيي العراق لان يختاروا بين التهديد الارهابي بقتلهم او مغادرة ارض الوطن ارض الاباء والاجداد وبين التعاطف الاخوي الاسلامي العراقي مع بقائهم واستمرارهم في ارض الوطن من جهة وبين المغريات التي تقدم لهم من خلال دعوات بعض الدول الاوروبية والامريكية لاستقبالهم في المهاجر على خلفية مجزرة كنيسة سيدة النجاة من جهة ثانية.. نحلل هذه الواقعة الاليمة التي تثير الشجون والآلام في النفس بشيء من العلمية والعقلانية لكي نتمكن من الوصول الى القناعة المطلوبة للوصول الى الخيار الافضل بين الخيارات المطروحة على الساحة لكي لانظلم انفسنا اولا والاخرين ثانيا...

من الامور البديهية والتي لاشك فيها ولا يختلف عليها اثنان حتى ممن يحملون القليل من العقل والوعي الانساني، بأن ما حصل في كنيسة سيدة النجاة هو بحق مجزرة رهيبة بشعة ذهب ضحيتها العشرات من الابرياء العزل من المسيحيين من الاطفال والنساء والرجال لاذنب اقترفوه او لجريمة ارتكبوها بحق غيرهم، بل لمجرد كونهم مسيحيين وكانوا مجتمعين يصلون للرب ويتوسلون في دعائهم ليحل على العراق والعراقيين الخير والسلام بشكل خاص والبشرية جمعاء بشكل عام، انها كانت بحق جريمة نكراء اقترفها هؤلاء الشواذ عن الاخلاق والقيم والاعتبارات الدينية والانسانية بدم بارد، جريمة يندى لها جبين الانسانية وفيها الكثير الكثير من الاساءة والتشويه على قيم الارض والسماء على حد سواء وعلى مبادىء وقيم الدين الاسلامي السمح بحد ذاته اولا قبل غيره من الاديان، ولكن نقولها كلمة حق يجب ان تقال وعلى رؤوس الاشهاد وبصوت عالٍ ان هؤلاء الشواذ الناقصين لايمثلون الا انفسهم المريضة والحاقدة على قيم وثقافة الانسان ولايمتون الى الاسلام بصلة لا من قريب ولا من بعيد، وان التاريخ الطويل للتعايش الاسلامي المسيحي في هذه البلدان وبالذات في العراق منذ صدر الاسلام الى يومنا هذا خير دليل على ذلك، وهـذا مـا يؤكـده ويظهره بجلاء القـرآن الكريم في الآيات الواردة في السورة الاولى منه الا وهي سورة البقرة حيث يظهر من خلالها العلاقة التكاملية الجلية بين الاسلام وغيره من الاديان السماوية الاخرى، وهذا ما يجعل المرء في حيرة من امره ليقول الى اي قرآن يستند هؤلاء الشواذ ليسوغوا سلوكهم الاجرامي هذا بحق غيرهم من ابناء تلك الديانات التي يذكرها القرآن الكريم في سورة البقرة...؟ واي اسلام يمثل هؤلاء القتلة المجرمون...؟ هل هناك اسلام اخر غير الاسلام الذي يعبر عنه القرآن الكريم...؟

ان وجود هؤلاء بهذه الصورة البشعة هو جريمة بحق الاسلام وقيمه ومنهجه القويم، هؤلاء لايمثلون الاسلام بأي شكل من الاشكال ولانكون منصفين اذا اعتبرناهم غير ذلك. ان من يمثل الاسلام الحقيقي هم من يمثلون الجانب الاخر الجانب المشرق من الصورة ذاتها الا وهم اولئك المسلمون العراقيون من العرب والكورد والتركمان والشبك الذين استنكروا هذه الافعال والجرائم الشنيعة التي ترتكب بأسم الاسلام زورا وبهتانا ونددوا بها اشد تنديد وبأقسى الكلمات والعبارات وببلاغة عربية فصيحة، وتعاطفوا مع اخوانهم المسيحيين على طول العراق وعرضه بعاطفة اخوية جياشة صادقة ومن خلال كل الوسائل الاعلامية المتاحة المقروءة والمسموعة والمرئية الرسمية والشعبية، وقالوا ما قالوه من كلمات المحبة والمودة الخالصة والمواساة وعبروا عن مشاعر الاخوة التاريخية والجيرة الحسنة والموقف الانساني النبيل ما فيه الكفاية، وأشعروا من خلاله اخوانهم المسيحيين بالامن والامان والطمأنينة ودعوهم بصدق واخلاص للبقاء بجانبهم في ارض وطنهم كسكانه الاصليين وقالوا الكثير الكثير من هذا القبيل لاثبات مدى حبهم وتعاطفهم وتمسكهم باخوانهم المسيحيين، فشتان ما بين الاثنين من الفروقات النوعية بين هؤلاء النبلاء الشرفاء رسل المحبة والاخوة والتعايش السلمي واولئك القتلة الشواذ المجرمين القادمين من وراء الحدود المعبئين بروح الحقد وثقافة نشر البغضاء والكراهية بين ابناء الوطن الواحد هؤلاء الذين لايفقهون غير لغة القتل والذبح والحقد الاعمى والتعصب الهمجي البغيض، هيهات لكم من ان تتمكنوا من زرع ثقافتكم السوداء هذه بين العراقيين النجباء، ان ذلك سوف يبقى مجرد حلم يقض مضاجعكم دوما لايتحقق في هذا الزمان لان ارادة العراقيين للعيش مع بعضهم كأخوان مهما اختلفت اديانهم ومذاهبهم وقومياتهم في وطن واحد اقوى بكثير من إرادتكم الاجرامية الهمجية وسوف لاتحصدون في النهاية إلا الخيبة والخذلان والخزي والعار وسوف لايكتب التاريخ عنكم إلا بما لحقكم من عار وسوف لايذكركم باكثر من مجرد كونكم مجرمين سفاحين قتلة لايعون ولا يفهمون ما يفعلون، لا دين لكم ولا إيمان بالله وبقيم السماء التي بشر بها كل انبياء ورسل الله، حيث ليس هناك دين من الاديان السماوية ولا دين من الاديان الوضعية يؤمن ويدعو الى قتل الانسان وزهق الارواح البريئة لاي سبب كان، حيث ان الاسلام هو الذي يقول في احدى ايات القرآن الكريم "ومن قتل نفسا بغير ذنب فكأنما قتل الناس جميعا" هذا ما يقوله القرآن الكريم، فمن اين جئتم بشرعية القتل للنفوس البريئة الذي تمارسونه بحق غيركم..؟ وعلى وفق اي دين واي قانون تشرعون أحكامكم..؟ الاسلام منكم براء الى يوم القيامة يادعاة الباطل والشعوذة بأسم الاسلام... ولكن بالمقابل اقول لهؤلاء القتلة من جهة ولابناء شعبنا الكلداني السرياني الاشوري من جهة ثانية ان مجزرة كنيسة سيدة النجاة لاتنتهي عندها الدنيا وليست هي حدود نهاية الكون بل هي بالنسبة لشعبنا بداية الحياة وتجددها في ارض الوطن وهي مقبرة الاحلام المريضة للقتلة الارهابيين المجرمين كما يؤكد التاريخ.

على اية حال ان موقف الشعب المسلم في العراق كان موقفا نبيلا مشرقا ومنددا ومستنكرا الجريمة مجزرة كنيسة سيدة النجاة وكان متعاطفا الى اقصى الحدود مع اخوانهم المسيحيين وكانت دعواتهم لهم بالبقاء في ارض الوطن ارض الاباء والاجداد وعدم الهجرة قويه للغاية اي عدم الاستجابة الى تهديدات الارهابيين المجرمين، انه في الحقيقة موقف نبيل ومشرف نتشرف به نحن ابناء الشعب الكلداني السرياني الاشوري لانه موقف رافض لتفريغ العراق من هـذا المكون الاصيل، ولكن ما يؤسف له اشد الاسف هو موقف بعض الدول الاوروبية والولايات المتحدة وكندا وغيرها من الاطراف المحلية على ما تقدمه من التسهيلات القانونية لأستقبال المسيحيين الهاربين من الارهاب في مناطق سكناهم حتى وان كان ذلك تعاطفا معهم لدوافع انسانية بحتة الا إنه عمليا يشكل دعما واسنادا مباشرا لتهديدات الارهابيين لتفريغ العراق من المكون المسيحي الاصيل، اي انه هناك من يهدد ويجبر المسيحيين على مغادرة ارض الوطن العراق وهم الارهابيون وهناك من يسهل عملية المغادرة والهجرة ويشجعها بتأمين مستلزماتها وهو الدول الغربية وغيرها من الاطراف المحلية بدوافع انسانية ان صدق القول وصفت النوايا وهناك من هم مستعدون للخضوع والاستجابة لكونهم خائفين مرعوبين يبحثون عن النجاة والخلاص بحياتهم وهم المسيحيون من ابناء شعبنا الكلداني السرياني الاشوري في العراق والذين لا يعرفون ماذا ينتظرهم في بلدان المهجر من صعوبات المعيشة والحياة وخراب البيوت وضياع الابناء والبنات والسقوط في مهاوي العوز والرذيلة والغربة القاتلة ومن دون ان يعوا اي مصير مجهول ينتظرهم، وماذا سيؤول اليه مستقبلهم كأمة ذات حضارة وماض مجيد وكان لها اعتبارها ذات يوم، انه بحق انتحار امة بكل ما تعنية الكلمة من معنى وزوالها من الوجود الى الابد...!!

عليه ادعوكم يا ابناء شعبي الكلداني السرياني الاشوري الى البقاء والتشبث بالاستمرار مهما بلغت التضحيات في ارض الوطن ارض العراق الى جانب اخوانكم من العراقيين المسلمين الطيبين ممن وقفوا وتعاطفوا معكم في محنتكم، والدنيا لا تنتهي بكم عند اسوار كنيسة سيدة النجاة بل هي اوسع افقا ومساحة من ذلك بكثير مع فائق اجلالي وتقديري للدماء الطاهرة للشهداء التي سالت على ارض هذه الكنيسة المقدسة، فلتكن هذه الدماء ما يسقي شجرة الحرية والحياة الكريمة لبقاء ابناء شعبنا في ارض الام ارض العراق الطيب ارض الاباء والاجداد ارض بابل ونينوى وآشور، ان التضحيات هي ملح الارض وثمن الحرية وتكريم الانسان بالحياة الكريمة، وهي طريق الخلاص لمن يبحث عن الخلاص من السقوط في مهاوي الفاقة والظلم والبؤس والرذيلة، والا لماذا اختار ربنا يسوع المسيح له المجد ان يضحي بنفسه على الصليب من اجل الخلاص الابدي للبشر وهو قادر على الخلاص بنفسه من دون ان يصلب ويموت، انه فضل الموت على الصليب وفعل ذلك تضحية منه من اجل الحياة الابدية ليعطينا درسا في معنى التضحية بالنفس ولانه اراد ان يجعل من صليبه هذا رمزا للتضحية والفداء في سبيل الحرية والحياة الانسانية الكريمة ليقتدي به من يحمل هذا الصليب رمزا له ويسير على دربه في الحياة.

ان تاريخنا الطويل والعريق في العراق زاخر وحافل بمثل هذه التضحيات وهي التي مكنتنا من البقاء والتجذر عميقا في هذه الارض الطيبة المعطاء ومكنتنا من المحافظة على وجودنا القومي النابض بالحياة الى يومنا هذا واغنينا تراث العراق بالعلم والمعرفة والفنون والثقافة بالمستوى الذي اصبح العراق يزهو ويفتخر به الان بين شعوب الارض قاطبة... لماذا لا نكون ابناء نجباء لأولئك الاباء والاجداد الكرماء الافذاذ العظام الذين سقوا شجرة الحرية في ارض بيث نهرين بدمائهم الزكية وسطروا تاريخ العراق الحضاري الزاهر بالعطاء الانساني بحروف من ذهب عبر سبعة الاف سنة، ليورثوها لنا ولابنائنا ولاطفالنا من بعدنا وحملوها امانة في رقابنا فما علينا نحن إلا ان نصون تلك الامانة ونرد لهم جميلهم إن كنا أهلا لذلك.

سكتوا دهراً ونطقوا كفرا

حازم زوري

إن المتابع لحيثيات جلسة مجلس النواب العراقي التي كرست لموضوع استهداف المسيحيين قبل أيام يصاب بالغثيان والإعياء لما تضمنته بعض المداخلات من فجاجة ولا نقول سذاجة لان من المفترض بعضو البرلمان الوعي العالي والتقدير المسبق لأبعاد كل كلمة ينطق بها وليس إطلاق العبارات جزافا، كما يفترض فيه الغوص في جوهر المشكلة وليس الهروب إلى آثارها ونتائجها، فبدلا من التوقف عند موضوع المشكلة الأساس والبحث في الوسائل الناجعة والكفيلة بإنقاذ الأرواح البريئة أطلق البعض من هؤلاء النواب العنان لنفسه متناولا الفرعي والثانوي في هذا الأمر وذلك إما بالانتقاد ما أبدته بعض الدول من استعداد لقبول مسيحيي العراق في بلدانها إذا ما رغبوا في ذلك بعد انفضاح عجز الحكومة العراقية وأجهزتها الأمنية عن حمايتهم في وطنهم وعلى مدار السنوات السبع الماضية، أو بتقديم مبررات واهية وأغطية مهلهلة للإرهاب القبيح من خلال الادعاء بأن ما يحدث لمسيحيي العراق يأتي في إطار الانفعال ورد الفعل لبعض المجاميع المتطرفة على خلفية بعض الممارسات الفردية المسيئة لبعض الرموز الإسلامية في بعض المجتمعات الغربية كموضوع الرسوم الكاريكاتورية وما إلى ذلك، مع إن الجميع يدرك إن لا رابط بين مسيحيي العراق وبين أصحاب هذه الممارسات وهم ليسوا مسؤولين عن أفعال وتصرفات الآخرين، ويدركون أيضا حجم وآفاق حرية التعبير عن الرأي في تلك الدول وان هذه الممارسات المسيئة ترتكب بحق جميع الأديان ورموزها وليست قاصرة على دين بعينه، وهي بالتأكيد مستهجنة وغير مسوغة ولا مقبولة بحق جميع الأديان ولكن ليس عدلا ولا منطقيا أو أخلاقيا أن يدفع مسيحيو العراق ثمن تلك الانتهاكات والإساءات من دمائهم وأرواحهم، وان تقديم الأغطية وسوق الأعذار لتبرير استهداف المسيحيين في العراق على النحو الذي نشاهده اليوم إنما هو تعبير ضمني وشبه صريح عن موقف داعم للإرهاب أو متناغم معه في الهدف والرؤية فكيف الحال إذا جاء هذا الموقف على ألسنة البرلمانيين ومن يعين المسيحيين على بلواهم إذا كان هؤلاء برلمانيوهم، وإذا كان البعض مصرا على الربط والقول بأن الأعمال الإجرامية المرتكبة ضد مسيحيي العراق هي رد فعل على تلك الممارسات فهل يعقل أن يكون حجم رد الفعل عليها بهذه البشاعة والدموية وذلك بقتل الأنفس التي حرم الله قتلها؟.

أما بالنسبة لما أبدته بعض الدول من استعداد لقبول المسيحيين العراقيين على أراضيها وأيا كانت دوافع وأهداف ذلك الاستعداد وهل هو لبواعث إنسانية محض أم لبواعث أخرى فنقول لا يجدر ببعض برلمانيينا وصف تلك المواقف بالمشبوهة وتعميم الوصف على موقف الفاتيكان أيضا؟ فالمعروف للجميع ومنذ سنوات إن خطاب الفاتيكان والكنيسة العراقية بكل ألوانها المذهبية وكل رموزها ومرجعياتها هو في إطار مناشدة ودعوة المسيحيين إلى الصبر والصمود والثبات في الوطن لتجاوز المحنة وعدم الانصياع لمآرب الإرهاب ومن يتفق مع أجنداته في السر والعلن والرامية إلى القضاء على الوجود المسيحي في العراق نهائيا، ولم يكن موقفهم ابدا داعيا أو محرضا لإتباعهم على ترك العراق؟ فما الداعي إلى إسباغ وصف المشبوه على موقف الفاتيكان الهادئة والمتوازنة والمتعاطفة مع الجرح العراقي عموما وإسقاط الوصف نفسه على الدعوات الإنسانية المنطلقة من هذه الدولة أو تلك تجاه المسيحيين العراقيين؟.

وإذا كانت تلك المواقف والدعوات مشبوهة فبماذا يوصف موقف المتفرج وغير المكترث وربما المتشفي لبعض أهل الدار في وطننا المنكوب من بعض القوى والرموز التي لم تنبس ببنت شفة في موضوع الإبادة التي تجري للمسيحيين في العراق حتى الآن؟ ولم تكلف نفسها عناء إدانة ما يجري لهم ولو كانت تلك الإدانة خافتة وباهتة وخجولة وذلك اضعف الإيمان؟ ألا يفترض في إخوة الوطن والمصير التضامن فيما بينهم ونصرة بعضهم البعض لا سيما وان الأمر بهذه الجسامة وعلى هذا النحو الخطير الذي ينطوي على الرغبة في القضاء على مكون مهم يمثل احد ألوان النسيج الوطني المهمة، والذي يقف اليوم في أولويات سلم التحديات التي يواجهها العراقيون حكومة وشعبا. إن غير المهتمين والمسترخين وأصحاب موقف اللاموقف من كل المأساة العراقية ومن انهار الدماء المهدورة المتعددة الألوان لكل أطياف شعبنا عليهم الخروج عن صمتهم وإيضاح حقيقة مواقفهم . أما إذا كان البعض قد أغاضه تكريس إحدى جلسات مجلس النواب لموضوع خطير بهذا الحجم لاعتقاده بأن حياة ومصير أرواح "أهل الذمة" في العراق لا يستحقان نقاشا واهتماما بهذا المستوى فينطبق عليه المثل القائل "لا يرحم ولا يدع رحمة الله تنزل"، لهؤلاء نقول إن الأصوات التي خرجت من بعض الدول وأظهرت الاستعداد لاستقبال المسيحيين في أوطانها "بغض النظر عن المآرب المشبوهة في افراغ الوطن من المسيحيين" لم تأت من فراغ وهي ليست للاستجمام أو لقضاء أوقات ممتعة في ربوعها وانما جاءت لإنقاذ حياتهم بعد تواصل تعرضهم لحملات القتل والتشريد والتهجير منذ العام ٢٠٠٣ وحتى الآن وذلك لعجز الحكومة العراقية ومؤسساتها الامنية عن حماية هذا الجزء المهم من الشعب العراقي، ومن المؤكد ان القوى التي تستهدف المسيحيين في العراق تقف خلفها وبدرجات متفاوتة ووسائل متعددة ومنطلقات مختلفة قوى داخلية وخارجية " ومنها قرارات بعض الدول الاوروبية في استقبال المسيحيين" تناغمت فيما بينها على هدف اقتلاع المسيحيين من ارضهم وان تباينت رؤاها ومواقفها في قضايا اخرى والمواقف المشبوهة لهؤلاء وامثالهم دليلنا على ذلك. اما بالنسبة لمبادرات الغرب الانسانية في حماية القوميات والاثنيات والشعوب الصغيرة والمستضعفة او المستهدفة من انظمة قمعية او عنصرية او من قوى تكفيرية وبدائية ضالة فانها ليست بجديدة على أحد ولابد ان ذاكرة الكثير من سياسيينا تشهد وتحفظ للغرب "الكافر" ومؤسساته الانسانية سعة الصدر وتدين له بحفظ أرواحهم وكرامتهم يوم ضاقت بهم ارجاء وطنهم التي احالتها الطغاة الى رحاب للموت والقهر والرعب مما اضطر الكثير من الدول ومنها الدول الغربية لفتح ابوابها لهؤلاء الهاربين من سيف الجلاد لينعموا هناك بالحياة الكريمة على اراضيها وينهلوا من قيم الديمقراطية الغربية ويتفيئوا في ظلالها الوارفة ويستنشقوا نسمات الحرية في افقها الرحب، فهل ان احتضان الغرب لهؤلاء في حينه كان مشبوها ام انسانيا؟ ومن جديد نسأل بعض نوابنا الجهابذة : بماذا يصفون مبادرة "الغرب الكافر وعديم الضمير" يوم انبرى لحماية جزء مهم من الشعب العراقي في كردستان العراق من خلال ايجاد منطقة امنة له ليكون في منأى عن بطش السلطة في العام ١٩٩١ بعد فشل انتفاضة الشعب العراقي ضد نظامه الدكتاتوري في شمال الوطن وجنوبه؟ .

وبماذا يصفون التدخل العسكري الواسع لحلف الناتو في نزاع كوسوفو قبل سنوات لردع الجانب الصربي وحماية اهالي الاقليم المذكور على اثر المجازر التي ارتكبت هناك مع ان الاقليم المذكور ذي الغالبية المسلمة كان عبر التاريخ جزءا لايتجزأ من الاراضي الصربية ؟ وبماذا يصفون مواقف الغرب واستعداده الدائم "حكومات ومؤسسات انسانية" لاستقبال آلاف اللاجئين سنويا بمختلف اديانهم وجنسياتهم القادمين من الشرق وعلى وجه التحديد عالمنا العربي والإسلامي، الهاربين من جحيم الأنظمة السياسية والواقع الاقتصادي والحياتي المرير والتعامل معهم بإنسانية رفيعة لم يألفوها في أوطانهم والأخذ بأيديهم وتامين سبل العيش الكريم لهم ووضعهم في مسار الحياة الصحيح؟ ماذا يقولون في تلك الجموع الغفيرة المهاجرة التي تلوذ بالغرب وتحتمي بقيمه وإنسانيته وتقصد واحات الحرية فيه طامعة وتواقة إلى رغيف خبز معجون بالكرامة على أرضه، عازفة عن أوطان لم تجد فيها سوى فقرها وبؤسها ومذلتها ولم تعد تلك الأوطان بالنسبة لها الا سجنا كبيرا بعد ان عاث فيها الفقر والإرهاب والأنظمة السياسية خرابا فأصبحت وبالا على أهلها وأصبح الانتماء إليها قيدا وعبئا على أحرارها وشرفائها؟ ماذا يقولون في هؤلاء؟ أعملاء ومشبوهون وخونة لأوطانهم؟ أم مرتكنين موالين للغرب؟ من المؤكد انهم بشر أرادوا أن يكونوا أحرارا كما أرادتهم الإرادة السماوية ورفضوا الاستكانة إلى الأبد والقبول بذلهم في أوطانهم فقصدوا ارجاء القرى من الارض وجدوا فيها كرامتهم واهتدوا فيها الى إنسانيتهم. فالى متى تبقى انظمتنا وسياسيونا في أوطاننا البائسة ومنها العراق وبعض نخبه السياسية التي بيدها اليوم مقاليد الامور تكيل التهم وتسبغ الاوصاف وتعلق المشاكل على شماعة المستعمر متخذة من نظرية المؤامرة والتحريض وسوء الظن التي عفا عليها الزمن وما الى ذلك من المفردات والاوصاف الجاهزة التي مللنا سماعها في عهود سابقة منهجا وطريقا وذريعة للهروب من المشكلة؟ ومتى تتهيأ لهؤلاء جرأة النظر الى عوراتهم ويتحلون بصراحة الاعتراف بعجزهم وبانهم قد خذلوا شعوبهم وعلياهم عموما وفي مقدمتهم المكونات والاعراق الاصيلة في هذه الاوطان التي تمثل جذورها ولبناتها الاولى؟ وهل ان التخوين والارتياب في كل ما يقدم الينا لانقاذ شعوبنا واسعاف حالنا الرديء والمظلم ونعته بالمشبوه وغير ذلك من الاوصاف التي يحفل بها قاموس العاجزين والمفلسين يبقى خطابنا؟.

ان ما جاءت به قرائح بعض النواب العراقيين في تلك الجلسة لم يكن ما ينتظره منهم اخوانهم المسيحيون لانه كان مخيبا للامال على وفق جميع المعايير الوطنية والانسانية وعلى وفق جميع الشرائع الوضعية والسماوية، وينطبق عليه القول المأثور "سكت دهرا ونطق كفرا" عليه فاننا ندعو هؤلاء ومن على موقفهم الى مراجعة انفسهم وخطابهم واذا كانوا عاجزين عن تقديم ما يصلح الحال ويعالج الموقف وينقذ ما يمكن انقاذه فعليهم السكوت وقد قيل "ان عجزت عن قول الجميل فلا تتحدث بسوء". عليهم ان يؤمنوا ان كرامة الوطن من كرامة جميع ابنائه ومن يريد ان يؤسس لمجتمع قويم ووطن حر كريم على قيم الحرية والعدالة والمساواة غير مقهور او مستعبد ، عليه ان يعامل جميع مكوناته على هدى ونبراس تلك القيم. بصراحة وبملء الفم نقولها ان المسيحيين في العراق ومراجعهم الدينية كافة مع البقاء في هذا الوطن وعلى هذا الثرى الذي شهد ويشهد لمآثرهم وانجازاتهم والذي تحتضن رموزهم واسلافهم ولكن على ان تحفظ لهم كراماتهم ويحافظ على أرواحهم وممتلكاتهم وان لا يكونوا اقل من الاخرين في أي شيء ولا يكونوا الخاصرة الرخوة في نسيجه وأهدافا سهلة الاستهداف من كثيرين بمختلف الصور وتحت شتى الذرائع الى الحد الذي يحجم فيه البعض عن قول كلمة حق واحدة بحقهم. ان ذلك كله مرهون بقيام اصحاب الشأن والمسؤولية بكل عناوينهم ومنهم البرلمانيون بدورهم الايجابي وواجبهم الوطني والشرعي والانساني في نصرة المظلوم على الظالم وكل حسب موقعه وإمكانيته، والنصرة تبدأ من كلمة حق تقال بحق اخوتهم في الوطن والمصير وانتهاء الى حمل السلاح دفاعا عنهم.

المسيحيون في العراق الجديد والضيافة

شكري عيسى بارنجايا

كل شيء حدث بعد السقوط. سقوط النظام السابق واحتلال البلد من قبل امريكا وحلفائها في نيسان ٢٠٠٣ . ابشروا ايها العرب اعني عرب العراق واخص القول بالشيعة العرب وبالسنة العرب في العراق. ابشروا ايها الاكراد والتركمان والصابئة والايزيدية باقة العراق الزاهية في فسيفساء بهي منذ الاف السنين وليس بعد السقوط .

واخيرا ابشروا ايها المسيحيون وعذرا اقول ايها السريان والكلدان والاشوريون فنحن شعب واحد .ابشروا جميعا يا شعب العراق فقد جاءكم الغيث هبة من السماء. جاءكم العهد الجديد ـ عهد الديمقراطية حيث ولى زمن الانقلابات العسكرية وجاء زمن تداول السلطة سلميا وشرع قانون للانتخابات والتي ستكون نزيهة وعامة الناس سيشارك فيها دون استثناء وحتى الذين في الخارج.

جاءكم الغيث من حيث لاتدرون وانتم غافلين عن محاسنها وطيباتها .تلك انتشرت وسائل الاعلام المرئية والمقروءة والمسموعة وراحت الفضائيات العراقية طولا وعرضا وتوزع الصحفيون والاعلاميون في ارجاء البلد بكل حرية وبلا قيود وكفلت القوانين والدستور الجديد حرية الصحافة والصحفيين وحرية الفرد والمعتقد والرأي واستقلال القضاء ولنا مجلس نسميه البرلمان وسلطة تنفيذية وهيئة رئاسة ؟ الم يكن هذا ما ننشده من التغيير الذي حصل في بلدنا ومن كافة مكوناته. ولكن يحق لنا ان نتساءل وما الذي حدث فعلا بعد التغيير : فعلى الصعيد الوطني اضطربت الامور بشكل مفاجيء وظهرت على الساحة موجة اغتيالات كبيرة لنخبة الطيارين ومن ثم الاطباء المشهورين بباعهم الطويل في مجال الطب والاختصاص والعلماء المفكرين والعقول في كافة المجالات الحيوية للبلد من مهندسين واقتصاديين وخبراء في مجال النفط والتصنيع والاعمار ومن ثم هروب بقية العقول من الوطن .

ثم زادت حدتها لتطول بتصفيات لبعض المسؤولين وقادة الحكم والضباط السابقين والحاليين ومنذ ٢٠٠٥ وحتى الان وبعدها ابهرنا الاحتلال ودول الجوار بتحفة جميلة وبالجملة من الانفجارات الكبيرة هزت الوزارات ومؤسسات الدولة تلتها موجة عنف اشد ضراوة حيث الانفجارات دارت برحاها لتجمعات المواطنين الابرياء واستهداف اماكن العبادة من الجوامع والمساجد والاديرة والكنائس المسيحية واغتيالات لرجال الدين مسيحيين ومسلمين. ثم تطورت تحفة اعدام العراق وشعبه بنوع من العبوات الناسفة توضع بكل سهولة تحت العجلات وسيارات المسؤولين ومن ثم اغتيالات لافراد الشرطة والجيش ورجالات الصحوة وتطورت هذه التحفة بالمسدسات الكاتمة الصوت لتقتل من تشاء دون رقيب في كل الانحاء وانتشرت ظاهرة الاختطاف والقتل والسرقة والاغتصاب والجثث المغدور بها والمقطوعة الرأس والموضوعة في المزابل وعلى الطرق في المدن واكثرها يحدث في عاصمة السلام عاصمة الرشيد وعاصمة حضارات الدنيا. اليس كل هذا من انجازات المرحلة الجديدة من الديمقراطية والحرية المنشودة بعد مرحلة المقابر الجماعية التي اكتشفت وما تزال وضحاياها كانوا من عامة الناس. واختلط علينا الامر اخيرا فلم نعد نميز بين ارهاب دولة والاحتلال وارهاب دول الجوار وبين ارهاب القاعدة والتنظيمات الاصولية والمقاومة لوجود المحتل او ارهاب العصابات المسلحة والميليشيات الظاهرة والمخفية. فقد عم عراقنا اللباس العسكري بعدة اشكال والوان بحيث صرنا لانعرف من هو الشرطي ومن هو العسكري ورجل الامن والاستخباري والمخابراتي ومرافق المسؤول وحارس منشأة او الصحوة وحارس بيت عبادة.

جاءنا الغيث بوجه الديمقراطية البشعة في بلدنا والتي ليست كالتي في البلدان الديمقراطية فعلا. فاذا كانت هذه ديمقراطية حقا كما يدعون فلماذا كل هذه الاعمال الارهابية التي لا يسلم منها الشعب العراقي المسكين والمظلوم . لماذا كل هذا القتل لناس يعبدون الله في جامع او كنيسة ولما كل هذه الميليشيات في الداخل وتلك المرتبطة بدول الجوار.

نعم ايها الشعب المغلوب على امره قد جاءكم الغيث نعما فها هم المسؤولون يصرحون ومن دون خجل من على شاشات التلفزة الكثيرة من انهم القوا القبض على كذا مجموعة وخلية وعصابة مجرمة او ارهابية او قتلة او غيرها وقد احيلوا للقضاء والقانون لينالوا جزاءهم العادل ولا يمر يوم دون تكرار هذه التصريحات بحيث قد يتصور المرء ان العراقيين جميعهم قد تحولوا لممارسة مثل هذه الافعال الدنيئة لاسمح الله. وامتلأت سجون العراق بحيث وجب التوسع في بناء هذه السجون والمعتقلات وكذلك ما تسمع من انتهاكات لحقوق الانسان والجرائم والتعذيب الحاصل في مثل هكذا اماكن. ويصرحون ليل نهار بان الشرطة والجيش ممسكان بزمام الامور والاحوال ونحن لسنا في حاجة للاخرين في حماية سماء وارض العراق هذا ما نسمعه من تصريحات تلو تصريحات من ان الدولة قادرة على سحق الارهاب وتنظيم القاعدة وبعد هذه كلها تتم موجة من التفجيرات الخبيثة مباشرة .

وابشروا ايها المسيحيون يا من كنتم اصل العراق وحضارته فقد تعهد ووعد ولا زال مسؤولو وحكام العراق الجديد يتوعدون لكم مرارا وتكرارا من انهم سيحمونكم من كل شر وقد اتخذت كل الاجراءات اللازمة لذلك. وسوف لن تتكرر مأساة صوريا الذبيحة ١٩٦٩ ومذابح سميل ١٩٣٣ وكارثة سيدة النجاة في الكرادة والتي هزت الابدان قبل البصائر لشدة هولها وقساوتها . فمن المسؤول أهو النظام الجديد ام الاحتلال ام الارهابيون؟

والذي يؤسف له تكرار المسؤولين على المنابر من ان المسيحيين هم باقة ورد جميلة لا بد من وجودها في حديقة العراق ولكن بمنية عليهم او لكي تكون متواجدة في حدائق بعضهم لتذبح وتقتل وتهان او تغتصب وقت الحاجة اليها . ولكن نحن نرفض ان تكون مثل باقة الورد تلك لاي كان بعد الان. ابشروا ايها المسيحيون كلدانا كنتم ام سريانا ام اشوريين فقد تعهد لكم الجميع في الاعلام والصحف والمنابر الخطابية من انكم ستكونون في حماية دولة القانون والمساواة والنظام وستنالون حقوقكم فلا تهاجروا فهذا وطنكم وانتم اهل البلاد الاصلاء وشدة الورد الجميلة التي سالت دماؤها وفاحت بعطرها امام انظار الجميع . نعم نحن ملح هذه الارض وبدوننا لا يطيب لاحد خاطر او ضمير والجميع يعلم علم اليقين من ان المسيحيين كانوا بناة العراق القديم وبناة حضاراته الانسانية من بابلية واشورية وحتى سقوط نينوى عام ٦١٢ قبل الميلاد على يد الفرس.

وايضا يعلم الجميع من ان البحر والرياح لم تأت بنا الى هذا البلد. ونحن كنا سادته وسكانه الاصليين منذ زمن ابراهيم الخليل ابو الانبياء عليه السلام حيث زقورة اور الكلدانيين في جنوب العراق والى عهد بابل واشور حيث امن الملك الاشوري وشعب نينوى برسالة يونس النبي "يونان" والمعروف عنها بباعوث نينوى او صوم نينوى بحسب الطقس الكنسي والذي ما يزال يمارس في كنائس كافة طوائف شعبنا الكلداني السرياني الاشوري ويلتزم بها المسيحيون والمسلمون في مناطق نينوى بالخصوص بالصوم ثلاثة ايام بلياليها كما قطعها الشعب الاشوري في الزمن القديم. وحتى اعتناق ابناء الرافدين لرسالة المسيح على ايدي تلاميذه والتبشير المسيحية في كافة ربوع العراق ومنها الى بلاد فارس وحتى افغانستان والهند والمليبار . كان هذا الشعب متواجدا يملك الارض ويحرثها ويقدم للاخرين من خيراتها وعلومها وعمرانها.

ويتقدم بكل مجالات الحياة وحتى بعد مجيء الاسلام والدولة العباسية وحتى يومنا هذا. فلماذا يمن البعض علينا بالحماية والتواجد والحقوق. والشعب العراقي بعربه وكرده والاخرين ومنهم شعبنا دافعوا عن تربة الوطن في وجه الاعداء والغازين لحدوده وقدموا الاف الشهداء قربانا من اجل هذا العراق كما نراه اليوم. واما من يرى لنفسه ومن حوله وقد احاطت به الامتيازات والدرجات والاموال فليتذكر من ان الفضل لا يعود اليه انما يعود للامريكان الذين جاؤوا واحتلوا البلاد واسقطوا النظام بالجبروت المعهود. وكلكم تنعمون من خيراته ولا فضل هنا لاحد على الاخرين. فاما ان نكون مواطنين من درجة واحدة والا نحن جميعا ودون استثناء سنفقد الوطن والمواطنة بالانقسامات والانسلاخات التي ستطفح على السطح لان كرسي السلطان لا يدوم ويقول المثل (لودامت لغيرك.. ما وصلت اليك). اما عن ارهاب شعبنا فانه ولو كان بهذه الدرجة من الوحشية واللاانسانية ولم يشهد تاريخنا الحديث مثل هذه الهمجية والوحشية فاننا باقون في هذا الوطن لانه وطننا من اول نطفة حيث وجدت البشرية. ونحمل الدولة بمؤسساتها الامنية والاحتلال والارهابيين القتلة من غير العراقيين الذين تشربوا على القتل والاعتداء وسفك الدماء بعد ان غسلت ادمغتهم بالافكار الشاذة والشعوذة. وسوف لن يبرئهم التاريخ والانسانية والقانون الدولي بما اقترفت ايديهم من جرائم بحق الابرياء وان الذي حدث للمسيحيين اليوم سيطول الاخرين بارهاب اشد واعتى وهذا الارهاب سيطول الاخرين في دول الجوار لا محالة وما نتمناه من تقدم وازدهار وسلام لعراقنا اليوم نتمناه لجيراننا ولكن بمثل ما فعلوا بالعراق سيفعل بهم غدا..

واخيرا نوجه نداءنا لاحزابنا السياسية ومنظمات شعبنا في الداخل والخارج برص الصف والانقياد لرغبات ومصالح شعبهم وبذل كل الجهود من خلال مشاركتهم في السلطة والبرلمان والعمل بروحية التآلف من اجل تعزيز وجود شعبنا في بلدهم الاصل وما يترتب على ذلك من حقوق على الارض وكان مؤتمر عنكاوة في اربيل مؤخرا لاحزابنا يمثل الطموح الاعلى لرغبات وامنيات شعبنا في البقاء في الوطن الام والحد من ظاهرة الهجرة القاسية عليه وتنشد رجالات الكنيسة ان تؤازر لاحزابنا وتوحد خطابهم السياسي من اجل الحفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه من الوجود ونشر رسالة السلام والمحبة وهو ما نأمله اولا واخيرا . اما ما حدث لمواطنينا الابرياء في كنيسة سيدة النجاة فنقول لهم انكم كنتم وسوف تبقون في القلوب احياء وأصبحتم منارة اخرى الى مآثر شعبنا وتكاتفتم مع شهداء صوريا وسميل وماردين وحكاري وغيرها الكثير بالمجد والخلود مع رب الوجود والانسانية اله المحبة والرحمة والسلام ابدا فلكم منا جميعا انبل المشاعر والحب والدمعة والتحية.